من معجزات الغناء العربي.. ولدت في الماء وماتت فيه

«أسمهان» تاريخ من المآسي والأوجاع العظيمة على وتر النغم

وائل العدس

احتفل موقع البحث الشهير «غوغل» بالذكرى الـ١٠٣ لمولد الفنانة السورية أسمهان التي ولدت في الماء وماتت فيه، عن عمر ناهز ٣٢ عاماً، وهي فترة قصيرة أحدثت خلالها ثورة كبرى في عالم الغناء، ووصفت بأنها إحدى معجزات الغناء العربي.

«أسمهان»، التي تركت تاريخاً من المآسي والآلام، يملأ حياة قصيرة زمنياً لكنها عظيمة الأوجاع، حياةً تشبه حركة موج البحر الذي تلقى هذه الطفلة، التي عاشت تبحث عن أرض ثابتة بعد أن سئمت أرجحة الموج، فكانت لها روح دائمة القلق، دائمة التطلع، تخاف الاستقرار، حتى وصل الأمر إلى أنها لم تستقر على بيت واحد أو زوج واحد أو حتى ملحن واحد لمجموعة أعمال.

عاشت ظروف اللجوء وهي مازالت في رحم أمها، ثم ذاقتها وهي في مرحلة الصبا، حيث كانت تعي معاني الغربة، والفقر، واليتم قبل أن تدرك معاني الحب، والثراء، واللهو.

ولدت آمال الأطرش، وهو الاسم الحقيقي لأسمهان، على ظهر باخرة مبحرة من الأناضول أثناء عودة أسرتها إلى السويداء في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٢، إذ كان والدها الأمير فهد الأطرش والياً على قضاء «ديمرجي» في تركيا.

ومع بداية العشرينيات بدأت الثورة السورية الكبرى في جبل العرب. وحينما اشتد أوارها، لاحق الفرنسيون آل الأطرش في كل مكان. فأشار الأمير فهد على زوجته علياء المنذر بأن ترحل مع أولادهما الثلاثة، فؤاد وفريد وآمال، إلى لبنان ومن ثم إلى مصر التي دخلوها بمساعدة الزعيم سعد زغلول، إكراماً لثورة جبل العرب ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي مصر، سعت الأم علياء إلى إدخال أطفالها إلى مدرسة «الفرير» الفرنسية، وأخفت نسب آل الأطرش، وسجلت فؤاد وفريد باسم الكوسا. وكانت السيدة علياء صاحبة صوت جميل وتجيد العزف على آلة العود، فتعرفت إلى بعض الموسيقيين، ومنهم محمد القصبجي الذي أعجب بصوتها ولحن لها عدداً من الأغاني باسم «عليا المنذر الأطرش»، وغدا بيتها مقصد الفنانين، ومنهم محمود صبح وداود حسني والشيخ زكريا أحمد.

بداية الطريق

المصادفة وحدها، قادت أسمهان إلى الأضواء، حين استمع داوود حسني لصوت رخيم خلال زيارته للملحن الشاب «فريد» في منزل العائلة، وحين علم أنها الأخت الصغرى له طلب منه أن يستمع إليها مجدداً، فقدمت له الصبية الشيء الوحيد الذي تملكه ذاكرتها إلى جانب الألم، وهو مجموعة من أغنيات أم كلثوم وعبد الوهاب، فأطلق عليها داوود حسني اسماً فنياً هادئاً كموج البحر ملكيا كأصلها: «أسمهان»، وأطلق معه موهبتها التي بلغت الآفاق.

وذات يوم، وبينما كان القصبجي في زيارة لبيت علياء المنذر، سمع آمال وهي تردد أغنية أم كلثوم «سكت والدمع تكلم»، فلم يصدق ما سمع وتملكته الدهشة من صوتها الساحر، فما كان من داود حسني ومحمود صبح وزكريا أحمد إلا أن أجمعوا على تبني هذا الصوت النادر، فتعهد داود حسني بتعليمها العزف على آلة العود، في حين قام الشيخ زكريا أحمد بتعليمها أصول الإلقاء الغنائي، وتفرد محمد القصبجي في تعليمها المقامات وطرق الانتقال بين النغمات.

> الحزن على أسمهان لبس وجه فريد حتى غادر الدنيا

غنت أسمهان من ألحان داود حسني والقصبجي وفريد غصن وزكريا أحمد قبل العام ١٩٣٠، وأقنعها شقيقها فريد في ذلك العام بالعمل معه في صالة «منصور» في القاهرة، وهو التاريخ الذي بدأت فيه الغناء بشكل فعلي ورسمي.

وفي العام ١٩٣٢، جاء إلى القاهرة الأمير حسن الأطرش ليعود بها إلى جبل العرب حيث تزوجها وأقامت في قصره مدة ست سنوات، أنجبت خلالها ثلاثة أولاد، بقي منهم على قيد الحياة ابنتها الوحيدة كاميليا.

وعادت اسمهان إلى القاهرة في العام ١٩٣٨ بعدما حصلت على الطلاق، لتبدأ رحلة الشهرة والنجومية، ولتغدو واحدة من أهم مطربات القرن العشرين، وغدت المنافسة الأولى لأم كلثوم، فقدم لها القصبجي أبدع ثلاث أغان: قصيدة «ليت للبراق عيناً»، وقصيدة «اسقنيها بأبي أنت وأمي» وهي من شعر الأخطل الصغير بشارة الخوري، وأغنية «فرق ما بينا». ثم لحن لها رياض السنباطي «حديث عينين»، وأيضاً اتصل مدحت عاصم بأسمهان من طريق شقيقها فريد ليلحن لها «يا حبيبي تعال الحقني»، ثم أتبعها بمونولوج «دخلت مرة في جنينة».

آخر مكالمة

كانت آخر مكالمة تلفونية بين فريد وأسمهان قبل وفاتها بساعات حيث أجرت محادثة قصيرة قبل استئناف تصوير مشاهدها في فيلم «غرام وانتقام» حيث قالت له «فريد أنا مسافرة لمدة ٤٨ ساعة بس وعايزاك تعمل بروفة مع الموسيقيين لغاية ما أرجع»، وترك رحيل أسمهان فراغاً كبيراً في حياة فريد الأطرش حتى إن الحزن كان يكسو ملامحه عند ذكر اسمها في أي مناسبة وفي آخر حواراته التلفزيونية مع ليلى رستم رداً عن سؤالها عما يتمناه قال: «أن تعود له صحته من جديد ليستطيع أن يكمل مشواره الفني وأن يجد موهبة تشبه شقيقته أسمهان التي قال إنها لو مازالت على قيد الحياة كان قدم معها أروع الأغنيات والأعمال»، حيث تعاونا معاً في عدة أغنيات منها أغنية «بدع الورد» و«يا حبيبي تعال الحقني» و«ليالي الأنس في فيينا» و«الشمس غابت أنوارها» و«كان ليا أمل».

لغز وفاتها

في صباح يوم الرابع عشر من تموز ١٩٤٤، وبينما كانت اسمهان في طريقها إلى رأس البر لقضاء فترة راحة من تصوير فيلم «غرام وانتقام»، مع إحدى صديقاتها، هوت السيارة التي تقلها إلى قناة مائية (ترعة) في منطقة المنصورة وهي في طريقها إلى الإسكندرية.

ومن الثابت والمؤكد في هذه الحادثة الغامضة، أن السائق قفز من السيارة وألقى بنفسه على الحشائش، تاركاً السيارة تستقر بمن فيها في قاع الماء، فماتت أسمهان غرقاً، وقيل الكثير عن الواقعة التي صورت على أنها حادث سير عادي، وظل السؤال قائماً إلى اليوم: من قتل أسمهان؟ ومن كان وراء هذه المأساة المروعة؟

وأيضاً عندما قررت أن تداري آلامها وأحزانها وغنت «نويت أداري آلامي.. وأخبي دمعي ونحيبي واحكي شجوني وغرامي.. لحالي ولطيف حبيبي ويفيدني إيه النواح.. والناس تشاهد أسايا.. والدمع زاد الجراح.. وكنت فاكره دوايا.. وليه بكايا وأنيني.. واللي بحبه سعيد.. وإن كان يغيب عن عيوني.. كفاية صانله العهود»، تجد قلبك يعتصر ألما من قوة صوتها الذي يخترق القلب.

برجك اليوم ١٢/٦

نجلاء قباني

أنت مستعجل اليوم وليس هنالك أي مسوغ للاستعجال فاحصد ما زرعت وكن صبورا ونشاطك غير متوقع، وتغيرات سريعة تتلاحق اليوم، فانتبه من الاستعجال.

يوم ضاغط لأنه متطلب، فأمورك فيها الكثير من المشاغل وحتى أمورك العائلية ضاغطة عليك والكل يطالبك بما لا تستطيع والالتزامات كثيرة والحظوظ قليلة.

أنت تبلور أفكارك وتتركها لتنضج ولتحاول جعلها إنجازاً على الأرض يسعدك فاستخدم نشاطك في مكانه الصحيح وفي التوقيت المناسب في كل ما يتصل بأمور المال.

اليوم تمر بامتحان فانتبه إلى كلامك ولا تجعله صريحا بل دبلوماسي ولطيف فما هو مفروض افعله بابتسامة ودون تذمر ولا تضخم المشاكل ولا تكن حساساً.

أنت تدخل في عالم من الحرية الفكرية والتعليمية وحولك الكثير من الأصدقاء الجدد. يوم جيد جداً لتمتن علاقاتك ولتضع النقاط فوق الحروف بسبب بداية جديدة تسعدك.

نتيجة تصرف مفاجئ قد يأتيك اليوم مال لتضعه في مكانه المناسب. قضايا رابحة فكر قبل أن تعد بشيء لا تستطيع إنجازه، وقد تحصل على أموال لم تكن تنتظرها.

يوم مبشر لأنه سيحمل حالة من الاندفاع والحماسة ستفيدك في عملك فأنت نشط وتضع أمامك هدفاً تسعى إليه لأن الحظوظ مساعدة لكل جديد ولأهداف جديدة.

أنت اليوم مشغول بأعمال لا تحبها وقد تشعرك بالتشاؤم أو بالملل أو بالحزن وقد تلوم نفسك اليوم لخطأ أو لقرار اتخذته بتسرع وتحاول جاهدا إصلاح الخطأ.

أنت تتصل وتبادر وتقبل الدعوات وقد تسعد لسفر تتمناه. يوم للحظوظ من غرباء وتدعى لمناسبات وتحل مشاكلك الشخصية. بادر إلى حوار بناء واطلب فطلباتك مستجابة.

تغوص في تفاصيل عقيمة وتنفعل بسرعة. أنت مرهف الحس. ابحث في أدق التفاصيل فقد يتقاعس بعض الزملاء عن مساعدتك أو دعمك. لا تدخل في تحديات لا تحتاجها.

تستعيد نشاطك وتحاول مصالحة الأشخاص من حولك فجأة وقد تتصل بشخص تحبه وترى منه رداً إيجابياً يسعدك وقد يجعلك تندم على عدم اتصالك به سابقاً.

هذه فترة جيدة وقراراتك حسنة وأنت قائد في محيطك بالصوت وبالأوامر فأنت تتولى القيادة في القرار في أمورك العملية وحتى في أمورك الشخصية.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١ – ممثل مصري.
٢ – شريان – علو ورفعة – بيوت (م).
٣ – طريقي – هواء.
٤ – ضروري – ذكي.
٥ – مطرب سوري.
٦ – نصر – مدينة أوروبية – كذب.
٧ – حروف متشابهة – حواجز – مادة قاتلة.
٨ – عاصمة إفريقية – شادي (مبعثرة).
٩ – في السماء – وظيفة – معبأ (م).
١٠ – صوت الحمام – منشأ.
١١ – كبر – حرف ناصب – للتعريف – متشابهان.
١٢ – دولة عربية – ضمير منفصل – من القوارض.

عمودي:

١ – ممثل سوري راحل – محفز (م).
٢ – معركة – أدراج – سكب (م).
٣ – حروف متشابهة – أناقشه.
٤ – أظلم – والدة – أشار.
٥ – يحلم – يساعده.
٦ – حرف جازم – إطراء – سئم.
٧ – الاسم الأول لمدرب سوري سابق بكرة القدم – نرغب.
٨ – في وجهي – يبغي – من الزهور (م).
٩ – رب – مستمر.
١٠ – أستقبل – قرض.
١١ – لا بالأجنبية – ممثل مصري راحل.
١٢ – نقيض قبلي (م) – نجيع – صلب.

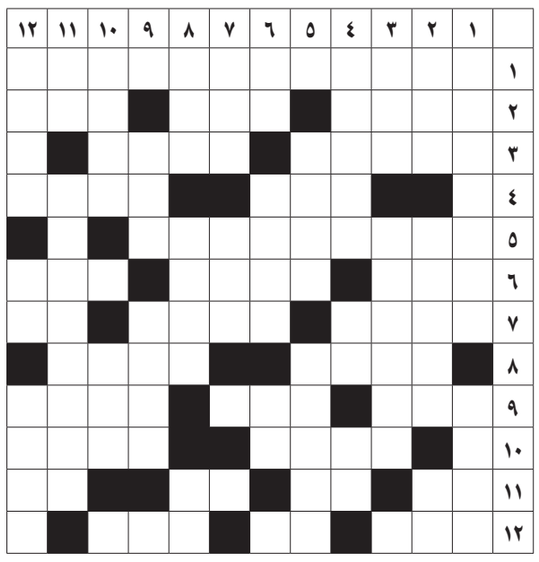

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ب	س	ا	م	ك	و	س	ا	■	ك	ر	ز
٢	ا	ل	ي	م	■	ل	ي	و	ن	■	ب	هـ
٣	س	ح	ب	■	م	ع	■	ا	■	ا	ج	ر
٤	ل	ف	ن	ا	■	■	ل	ن	د	ن	■	ة
٥	ا	ا	■	ل	د	■	ا	هـ	د	م	■	ا
٦	ل	هـ	م	■	ع	س	ل	■	د	■	م	ل
٧	خ	■	ع	ر	ا	ق	هـ	■	د	ا	ت	ع
٨	ي	غ	ر	ق	■	ي	■	ج	■	ل	ي	ل
٩	ا	م	ض	ي	■	م	■	ا	هـ	ت	ن	ا
١٠	ط	ا	■	■	غ	■	م	ا	ر	ق	■	■
١١	■	م	ن	■	ف	ا	ع	ر	■	ي	ا	س
١٢	ل	هـ	■	س	ل	■	ز	■	خ	ا	ل	ي

كلمة السر

ا	ص	ا	د	ف	ت	ل	ك	ن	ن	ي	و
ل	ف	ج	ا	ر	ت	ن	ا	ع	ب	ب	ا
أ	أ	م	ن	ج	د	ي	د	د	ا	و	ل
و	ش	ا	ل	ح	ل	و	ي	ا	ت	ج	د
ل	ا	ع	ن	ي	ل	آ	خ	ر	ق	هـ	ك
ب	ح	ل	أ	ك	ت	ش	ف	ا	ر	هـ	م
ب	ت	س	ط	ا	هـ	ن	أ	ا	ب	ا	ن
ص	ك	ا	ن	ت	و	ا	ل	د	ت	ك	ط
ح	أ	ب	و	إ	ب	ر	ا	هـ	ي	م	ر
ب	ل	ل	أ	ص	ا	د	ف	هـ	م	ا	ي
ة	ص	ر	ج	ع	ت	و	ب	ا	ئ	ع	ق
أ	م	س	ف	ي	ة	ق	ي	ش	ر	ل	ا

كلمة السر من ١٥ حرفاً: شاعر سوري.

(أمس الأول، صادفت والدك بصحبة جارتنا الرشيقة، فأشاحت بوجهها عني.. لكنني رجعت من طريق آخر لأصادفهما من جديد قرب بائع الحلويات أبو إبراهيم.. لأكتشف أنها كانت والدتك..).

SUDOKU

9					8			4
	7			3				5
		4	1				6	
2	9		7		6		3	
		1		4		7		
	5			2			9	6
	8				5	1		
1				8			2	
7			6					3

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

5	9	7	2	3	4	6	1	8
1	3	6	9	5	8	2	7	4
2	4	8	7	1	6	9	3	5
9	7	2	5	8	1	4	6	3
8	1	4	6	2	3	7	5	9
3	6	5	4	7	9	8	2	1
4	5	1	8	6	7	3	9	2
7	2	9	3	4	5	1	8	6
6	8	3	1	9	2	5	4	7

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٣°/١٤°	٦°/١٦°
حمص	١°/١١°	٣°/١٤°
حلب	١°/١٣°	٣°/١٥°
اللاذقية	٩°/١٩°	١٠°/٢٠°
السويداء	٠°/١١°	٢°/١٣°
الحسكة	٤°/١٤°	٥°/١٦°

من هو؟

ممثل مصري: إذا جمعت الأحرف.

٤ + ١ + ٣: طريق غير معبد
٨ + ٢ + ٧: نجيعك
٦ + ٥: حرف عطف

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

الحل السابق: سلوم حداد.